

تقديم : د. محمد فتح الباب

الأمم في أعمال المبدعين الكبار ليست مجرد مواقع جغرافية ، بل هي كائنات حية تتدفق وتتحد مع سكانها ، وسردس التاريخ ، ليسوى أنه رسول الله مر في طريقه بجبل أحد فاشارة إليه وقال : (كذا الجبل يجنا ونجبه ٢) . وإذا كانت الزعفران والسماء والجبل كائنات طبيعية خالدة ، فإنا المدينة والقرية والحارة والرقاعة أممها تولد وتحيى وتختفي وتلهن فخصايها ^{تحتل} مثل البشر يسر عليها قانونها الوجود والعدم والتقلب في حياتها من حال إلى حال . والهدى القدر الذي يستلم الواقع شخصيات وأحداثا وأماكن ويفهم فيل ليس المتبلية الغصة ليعضاف حياتها الطبيعية إلى حياة وجدانية ومقلية حتى تصبح الشخصية فريدا من الحقيقة والخيال وتنتقل من نفس المطلق فقد تقارقه . وكذلك الحديث والمكاند .

وفي ظل طبيعة المبدعين الروائيين الذين خلدوا أممها وخصوصا أحداثنا بعين الكاتب محمد جبريل ، فقد كان هي (بحري) بالاسكندرية محورا لعدد من قصصه الشعرية الرباعية التي تتألف من أربع روايات بالإضافة إلى أعماله المنفرد . فمن هذه الروايات يلعبها الحق المذكور الدور الأساسي في العمل الرباعي . وينسج محمد جبريل رؤيته الفنية من تاريخ (بحري) وجغرافيته

وتحولاته ، وذلك من خلال حركة كانه الزحيا والموتس . وهكذا يواكب تمشية نجيب محفوظ (بين القصرين وقصر السوف والكرية) ورائعة الروايات التي يرثيها هيمس جويس التي جرت أحداثها في بلده ورواية (قصة مدينته) للكاتب الإنجليزي تشارلز ريكستر ولها لندسه وباريس .

وأحدث ما قدمه الروايات محمد جبريل روايته (نجم وهدى في الزعفران) ويقول الناقد الدكتور ماهر شفيق فريد إننا واحدة من الروايات القليلة التي تعنى بما تطلع إليه يحيى حق من حيث التجارب الروحية الكبرى التي تحمل أزمات الضمير ، وصدرة الروح وتوترات العقل . إننا رواية غير عادية لكاتب غير عادي لغنياً يتختم في كل عمل جديد له قيمة تعمل من سابقه .

وتدور أحداث الرواية حول سواضه من حى جبريل مصاب بمرضه غير محسوس وقد أعشى بوجهه الأطباء ، وهو يظهر في شكل ملل من الأشياء والناس واكتئاب نفسي ، وتستمر هذه الأزمة عاما ، فبالأخص لهذا المرض الذي لا يبر له إلى المسانحة أصاب ، بعددج الروح ومنهم الشيخ نجاش الذي ينصه بالقيام برحلة بحرية تقضى به إلى جزيرة غير مأهولة ، وهناك سوف يعثر على نجم وهدى في الزعفران ، فيشفي من دأته العصال .

وسرد الكاتب وقائع هذه الرحلة بأسلوب الخائب والكوارسية الشخصية المختلفة ، ويستخدم تقنية التداخي (المندوسه بالك) وتيار الوهم ، وهو التقنية التي كانه طامح أول من وظفها هيمس جويس وفرجينيا وولف . كما يستخدم أسلوب ألف ليلة وليلة الذي يقدم من سرد حكاية داخل